

قصة قصيرة

آم المكان

المكان في ولع ليعانق الظلام و يذوب فيه، راغب في أن يلتهمه، أن يمحو ما به من ذكريات مؤلمة، أن يطوي حوادثها مغادرا بها إلى أرض الديجور، أرض الظلام الدامس، إلى حيث اللامكان، اللاحث، اللاإنسان. الظلام بدوره، استنكف أن يمثل دوره المعتاد في إخفاء ما هو مؤلم، مكتفيا بنظرة حادقة هازئة إلى المكان، منزويا، ضاحكا ملء فمه، مبتعدا، هاربا شيئا فشيئا، حتى بدا النور معتليا عرشه باديًا للمكان القشة التي يتشبث بها الغريق، لكن ما لبث أن أدرك المكان حماقة فعله، فأنكشف سره و ظهر ما كان المكان يجاهد لإخفائه، فأستعرض المكان آلامه وهمومه بإبداء ما في جوفه من حوادث هزته والزمان معا.

الحادثة الأولى: نظر مليا إلى ابنته النائمة على الأريكة الخشبية، التي بالكاد قد تعلمت بعض الحروف، نظر إليها طويلاً، طويلاً وقبّلها طويلاً طويلاً، شمّ عطرها أحس أن هذه اللحظات سوف لن تعود أبداً، أحس بملك الموت يحوم فوق رأسه أو رأسها. أراد أن يخبر زوجته برغبته بعدم الخروج من البيت، لكن الهواجس أقلقته، فرجولته على المحك ولقمة العيش لا بد أن تنتزع. خرج و ترك قلبه وأجنحته عند طفلته التي بالكاد قد تعلمت بعض الحروف، انفجار هزّ المكان والزمان والإنسان معا، لم يبق منه غير قلبه وأجنحته التي تركهما عند طفلته التي بالكاد قد تعلمت بعض الحروف

الحادثة الثانية: انبهر الطفل بصوت العصفور الصغير وهو يغرد على شجرة قريبة من المكان. أراد أن يشارك العصفور أغنيته، لكن طيرا كاسرا، غرس مخالبه في رأس العصفور، منهيا بذلك أغنيته وأغنية الطفل معا. فما كان من الطفل إلا أن ابتسم وترك النافذة مفتوحة..

الحادثة الثالثة: وقف أمام ذلك السهل الممتد إلى الأفق، المليء بالأشجار والأطفال والطيور المهاجرة و غير المهاجرة. نظر إليه، ثم قال في نفسه: من يوسعه أن يمتد فوقك، من يوسعه أن يلتهمك؟ ثم ما لبث أن تحول فمه إلى ثقب أسود يلتهم السهل و ما به من أشجار وأطفال وطيور مهاجرة و غير مهاجرة. امتد الالتهام إلى كل شيء، حتى لاند المكان بالفرار.....

وتوالت الحوادث الواحدة تترا، الواحدة تلو الأخرى...



◆ عيسى ظاهر إسماعيل

دهوك